نهر تمودة، النهر ذو الأسماء الخمسة

يعتبر نهر تمودة من بين أقدم الأنهار المغربية التي ذكرتها النصوص الإغريقية واللاتينية القديمة، وكذا نصوص بعض الجغرافيين العرب كالبكري والإدريسي، أو بعض المؤرخين والرحالين الفرنسيين والإنجليز والإسبان، حيث سنرى أن هذا النهر أصبح يسمى بأسماء جديدة لا علاقة لها بالاسم الأصلي، إلى أن سمي بالاسم الذي يعرف به اليوم : وادي مرتيل. فما هو الدور الذي قام به هذا «الوادي الكبير» حسب محمد الرهوني، أو «النهر الكبير» حسب محمد داود، في حياة تمودة، ثم تطوان بعدها التي أصبحت بفضله أول مرفأ مغربي في القرن الثامن عشر ؟ وهل تغيرت ظروف جريانه منذ العصر القديم حيث كان صالحاً للملاحة، واستغله الأهالي منذ القرن الخامس ق. م. في علاقاتهم البحرية وحياتهم الاقتصادية وأعمالهم الجهادية ؟ وهل يمكن اعتبار هذا النهر فريداً بالمقارنة مع باقي الأنهار المغربية، بخصوص تنوع أسمائه عبر العصور، وكذا تنوع وغنى الأسماء التي تميز أجزاءه المختلفة بين غرب تطوان ومصبه في البحر المتوسط ؟

1- « موروزيا غنية بالأنهار... » :

أسست معظم المدن المغربية القديمة على مصبات الأنهار، أو على ضفافها، كما هو الشأن بالنسبة لليكسوس وشالة وتموسيدا وبناصا وتمودة، الخ. ويطلعنا الجغرافي الإغريقي سطرابون على أن بلاد « موروزيا غنية بالأنهار... »[1]. ولقد كانت الخلجان ومصبات الأنهار عامة الأماكن التي كان يفضلها البحارة القدامى لإرساء مراكبهم، أو بناء مباني ترتبط بالنشاط البحري. ومكنت هذه الأنهار والوديان الإنسان من الوصول إلى المدن الواقعة بعيدا عن البحر، كما هو الشأن بالنسبة لوليلي مثلا.

وخلال العصر الوسيط، لعبت بعض أنهار الواجهة الأطلنطكية المغربية دوراً هاما في ميادين المواصلات والمبادلات والصيد. ومعظم مصبات هذه الأنهار كانت مستغلة كمراسي تمكن السفن من الإرفاء، كما هو الحال بالنسبة لأزمور عند مصب أم الربيع، والمعمورة (المهدية) عند مصب سبو (خلال العصر الموحدي)، وتانسيفت الذي كان مصبه يكتسي أهمية قصوى خلال عصر الجغرافي أبي عبيد البكري (القرن XI) الذي ذكر رباط قوز كمرسى لأغمات، وذلك قبل تأسيس مراكش[2].

---

[1] -STRABON, *Géographie*, XVII, 4.

[2] - البكري، **المسالك والممالك** (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ص. 153: « وساحل أغمات رباط قوز على البحر المحيط وفيه تنزل السفن من جميع البلاد...». وانظر :

ROSENBERGER, B., Note sur Kouz, un ancien port à l'embouchure de l'oued Tensift, *Hespéris-Tamuda*, VIII, 1967, pp. 23 - 66.

ونفس الشيء بالنسبة لمصب أبي رقراق الذي قام بدور هام، وذلك منذ العصر القديم. ففيه كانت تنتهي الطرق التجارية الكبرى كتلك التي كانت تربط تلمسان بالساحل الأطلنطكي، عبر فاس[3]. وكانت لمصب هذا النهر مزايا طبيعية أهّلته ليكون بدوره مرفأ نهرياً.

وخلال القرن XVI، كان الجنويون يصعدون مجرى نهر اللكوس إلى أن يصلوا إلى بلاد بني زكّار، في وسط وادي اللكوس، ليشتروا منهم الشمع والأهب[4].

ولقد ذكر القدامى أسماء هذه الأنهار، كحنون الذي وصف وصوله إلى « ليكسوس، النهر الكبير الذي يجري في ليبيا. (...) في الجبال الشامخة التي، يقال، أن منبع ليكسوس يوجد فيها (...)»[5].

ويحدثنا المنتحل اسم سكولاكس عن الأنيديس (*l'Anides*)، و ليكسوس (*Lixos*)، وكرابيس (*Crabis*)، وكسيون (*Xion*)[6].

وذكر بومبونيوس ميلا (Pomponius Méla) أنهار تمودة (*Tamuada*)، ومولوشا (*Mulucha*)، وغنا (*Gna*)[7].

أما بلين الشيخ[8]، فإنه يحدثنا عن الأنهار التالية : ليكسوس (*Lixos*)[9] ، وسبوبوس (*Sububus*) «نهر عظيم وقابل للملاحة»[10]، وسلا (*Sala*)[11]، وأناتيس (*Anatis*)[12]، وكووسينوم (*Quosenum*)[13]، ومسات (*Masath*)[14]، ودرات (*Darat*)، ونهر سالسوم (*flumen Salsum*)[15]، وأسانا (*Asana*)[16]،

---

[3] - CASTRIES, H. DE, « Le Maroc d'autrefois. Les corsaires de Salé », *Revue des deux mondes,* XIII, fév. 1903, p. 828; PICARD, Ch., *L'Océan Atlantique musulman. De la conquête arabe à l'époque almohade,* Paris 1997, p.58.

[4] - EL GHARBAOUI, A., *La terre et l'homme dans la Péninsule Tingitane*. Etude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental, Rabat 1981, p. 54 ; RICARD, R., « La côte atlantique du Maroc au début du XVI[e] s., d'après les instructions nautiques portugaises », *Hespéris*, VII, 1927, pp. 236 -237.

[5]- HANNON (Périple d'Hannon), *in:* DESANGES, J., *Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique,* (V[e] s. av. J.-C.-IV[e] s. ap. J.-C.), Paris-Rome (Collection de l'École française de Rome, n° 38), 1978, pp. 39 - 40 ; 83.

[6]- SCYLAX (Périple du Pseudo-Scylax), *in*: DESANGES, J., *Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit*., pp. 87-120; 404 - 414.

[7]- POMPONIUS MELA, *Chorographie*. Texte établi, traduit et annoté par A. Silberman, Paris, Les Belles Lettres, 1988.

[8] - PLINE L'ANCIEN, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1- 46 (L'Afrique du Nord). Texte établi par J. DESANGES, Paris, Les Belles Lettres, 1980.

[9] - PLINE, *H. N*., V, 4.

[10] - PLINE , *H. N*., V, 5.

[11] - PLINE, *H. N*., V, 5.
يحمل هذا النهر اليوم اسم "بو رقراق". وسيذكر بلين اسمه فيما بعد (9،V)، عند روايته لرحلة بوليب على شكل سلات (*Salat*).

[12] - PLINE, *H. N*., V, 9.
يوافق دوزانج بين هذا النهر ونهر أم الربيع ؛ راجع:
J. DESANGES, *Pline l'Ancien*, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1-46 (L'Afrique du Nord), pp. 110-111.

[13] - PLINE, *H. N*., V, 9.
وحسب دوزانج، فإن الأمر يتعلق ربما بوادي سوس الذي لا نعرف اسمه القديم، أو تانسيفت ؛ راجع:
J. DESANGES, *Pline l'Ancien*, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1-46 (L'Afrique du Nord), p. 114.

[14]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 9 : وادي ماسه الحالي.

[15]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 9 : ربما وادي سوس.

[16]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 13: ربما أم الربيع.

وفوت (*Fut*) [17]، وإيفور (*Ivor*) [18]، والجير [19](le *Ger*)، وهي الأنهار التي تصب في المحيط الأطلنطكي ؛ وأنهار تمودة [20] (*Tamuda*)، ولاود (*Laud*) [21]، وملوان [22](*Maluane*)، وهي كلها أنهار قابلة للملاحة انطلاقا من البحر المتوسط.

ولقد وضع بطليموس[23] قائمة ضمّنها أسماء مصبات أنهار الواجهة الغربية لموريطانيا الطنجية. ويتعلق الأمر بمصبات أنهار زيليا (*Zilia*) ، وليكس (*Lix*) ، وسوبور (*Subur*)، وسلاتا (*Salata*)، وديوس (*Dyos*)، وكوزا (*Cousa*)، والأسانا (*l'Asana*)، وديور (*Diour*)، وفوث (*Phouth*)، والأونا (*l'Ouna*)، والأغنى (*l'Agna*)، وسلا (*Sala*). كما ذكر مصبات أنهار الساحل المتوسطي، وهي : فالون (*Valon*)، وتمودة (*Thamouda*)، ومولوشا (*Molochat*)، ومالفا (*Malva*).

أما جغرافي رافين[24]، فإنه ذكر نهر توربولينتا (*Turbulenta*) المسمى أيضا دافينا (*Davina*).

2- ظروف جريان الأنهار المغربية :

نعرف اليوم أن ظروف جريان الأنهار المغربية، بما فيها تمودة، تختلف عما كانت عليه في العصر القديم. فصبيب هذه الأنهار كان أكثر ارتفاعاً ، وبالنسبة لبعضها، كان جريانها دائما، كما يؤكد ذلك بلين الذي يحدثنا عن نهر « درات (*Darat*) (درعة) حيث تولد التماسيح »[25]، وهو النهر الذي أصبح جريانه اليوم غالباً جرياناً متقطعاً. ويحدثنا سطرابون أيضا عن أنهار موروزيا التي « (...) يقال أنها تطعم التماسيح وكل أنواع الحيوانات الأخرى التي تعيش في النيل ؛ ويعتقد البعض أن منابع النيل مجاورة لأقاصي موروزيا. (...)[26] ».

---

[17]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 13: ربما تانسيفت.

[18]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 13: ربما وادي القصوب، جنوب موغادور.

[19]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 15: ربما وادي غير.

[20]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 18.

[21]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 18: وهو واد لاو الحالي.

[22]- بلين، *التاريخ الطبيعي*، V، 18: وهو يوافق نهر ملوية.

[23] - PTOLEMEE, *in* : ROGET, R., *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, pp. 36 -38.

[24] - GEOGRAPHE DE RAVENNE, *in* : *Le Maroc chez les auteurs anciens*, pp. 43 - 44.

[25] - PLINE, *H. N*., V, 9 : « *flumen Darat, in quo crocodilos gigni* ».

نهر درات (*Darat*) هذا الذي تحدث عنه بلين، يوافق نهر دراس (Δάρας) الذي ذكره بطليموس (IV ، 6 ، 2)، وهو وادي درعة الحالي. ولقد أشار فيتروف، في عصر أغسطس، إلى وجود التماسيح في الأنهار التي تنبع من الأطلس :

Vitruve, VIII, 2,7 :« Et l'on reconnaît surtout que c'est en Mauritanie que le Nil prend sa source, en ce que du côté opposé du mont Atlas, se trouvent les sources d'autres fleuves qui portent leurs eaux dans l'océan Occidental, et où naissent les ichneumons, les crocodiles et d'autres espèces d'animaux et de poissons, outre les hippopotames.»

ويوضح بوزانياس أن طول هذه التماسيح يبلغ ذراعين (أو ثلاثة أذرع ؟) :

Pausanias I, 33, 6 :« Cette eau, qui sort du mont Atlas, est trouble, et on y trouve, vers la source même, des crocodiles qui n'ont pas moins d'une coudée de long et se plongent dans l'eau à l'approche des hommes.»

وراجع :

DESANGES, J., *Pline l'Ancien*, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1-46 (L'Afrique du Nord), pp. 114 -115.

[26] - STRABON, *Géographie*, XVII, 4.

وفي الخمسينيات من القرن الماضي، زعم كابو- ريي (R. Capot-Rey)[27] أن التمساح لم يختف من نهر درعة إلا حديثاً، وأنه ما زال يعيش متنكساً في (Tassili-N-Ajjer) شمال مرتفعات الهكّار البركانية، جنوب الجزائر.

ولقد وُجد البرنيق أيضاً، وبوفرة في ربوع الأطلس خلال الفترات المناخية الرطبة التي ميزت أزمنة البلايسطوسين (pléistocène) ؛ وخُلّد وجوده هذا في نقوش صخرية، وفي عدد كبير من الآثار تحت المتحجرات (vestiges sub-fossiles) التي عثر عليها في قعور البحيرات القديمة المجففة[28].

ولقد ذكر فروبينيوس (Leo Frobenius)[29] أنه في حوض مقفل في « الصحراء الغربية »، يعيش نوع من أفراس النهر يشبه تلك التي تعيش في نهر النيجر، غير أنها أصغر هيكلا بحوالي الربع بالمقارنة مع أفراس النهر النيجيرية.

ويمكن اعتبار نهر سبو اليوم نموذجاً للتغيير الكبير الذي عرفته ظروف جريان باقي الأنهار المغربية كنهر تمودة... فنهر سبو كان صالحاً للملاحة، وذلك إلى غاية بداية القرن الماضي. واستُغل في مواصلات ومبادلات سكان المناطق الداخلية مع الساحل الأطلنطكي. ولقد ظل وادي سبو قابلا للملاحة لمدة طويلة، وذلك حتى رافد وادي فاس. ويعني ذلك أنه عن طريق الملاحة النهرية، كان القدامى يصلون غير بعيد عن وليلي. وفي بداية عهد الحماية، كان الفرنسيون يصعدون نحو عالية نهر سبو حتى مشرع بلقصيري[30].

ويرى لوكي (A. Luquet)[31] في هذا الصدد أن منتجات وليلي ونواحيها (القمح والزيت أساسا) خلال العصر الروماني، كانت تنقل براً حتى سيدي سليمان « ربما جيلدا[32] القديمة ؟ »، وفي سيدي سليمان، كانت هذه المنتجات توسق على متن السفن التي تنزل عبر نهري بهت وسبو حتى المحيط، مروراً ببناصا وتموسيدا.

---

[27] - CAPOT-REY, R., *Le Sahara français*, Paris, P.U.F., 1953 , pp. 75 ; 91.

[28] -VIDAL DE LA BLACHE, P., et GALLOIS, L., *Afrique septentrionale et occidentale* ; *Géographie Universelle*, t. XI, Paris 1937, p. 67.

[29] - FROBENIUS, L., *Und Africa sprach*, Berlin 1912, t. III, p. 66; d'après BERTHELOT, L., *L'Afrique Saharienne et Soudanaise, ce qu'en ont connu les Anciens,* Paris, 1927, p. 46.

[30] - DELONCLE, P., Les ports du Maroc: Mehdia, Kénitra, *Revue Maritime,* 1922, pp. 501-512; LE COZ, J., *Le Rharb, fellahs et colons, Etude de géographie régionale*, T. I, Paris 1964, pp. 90-97 ; 386.

[31]- LUQUET, A., « Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Volubilis » , *BAM*, V, 1964, p. 300; THOUVENOT, R., *Une colonie romaine de Maurétanie Tingitane, Valentia Banasa*, Paris (Publication de l'IHEM, 36), 1941, p. 44.

[32]- CALLEGARIN L., KBIRI ALAOUI M., ICHKHAKH A., ROUX J.-C., Le site antique et médiéval de Rirha (Sidi Slimane, Maroc), *Les Nouvelles de l'archéologie*, n° 124, Septembre 2011, p. 26 : « Deux sites peuvent prétendre à cette identification ; Rirha et le Domaine du Beht (anciennement Ferme Priou), distants d'environ 7 km l'une de l'autre et séparés par le tumulus princier de Souk Larb'a de Sidi Slimane, détruit en 1939 ».

وكان نهر تمودة، مثله مثل سبو، طريقاً رئيسية للمواصلات بالنسبة للمدينة وحياتها الاقتصادية. ففي نهاية القرن XVIII، وصفه جون بوطوكي (J. Potocki)[33] كنهر كبير بما فيه الكفاية، تستقر على ضفافه مجموعات من الصيادين. وفي منتصف القرن XIX، وصف رونو[34] (E. J. Renou) تطوان و « نهرها الذي يصب شرقاً في البحر، عن طريق مصب شاسع بما فيه الكفاية ». ومعلوم أن ظروف جريان هذا النهر اليوم تختلف كثيراً عما كانت عليه في العصر القديم، حيث كان جريانه دائما على الأرجح ؛ أما صبيب بُراضه اليوم خلال الصيف، فلا وجود له.

3- وادي مرتيل: جغرافية المياه- الهيدرولوجيا:

يعتبر وادي مرتيل (نهر تمودة القديم) من أهم المجاري المائية الدائمة في إقليم تطوان. وهو ينبع من مرتفعات جبل كرشا (1658 م) التي تفصل السفح المتوسطي في الشرق عن السفح الأطلنطكي في الغرب. ويمتد حوض صرفه على مساحة 1200 كلم^2 (981 كلم^2 على مستوى محطة قياس حجم المياه في قنطرة طورّيطا). ويحمل وادي مرتيل في عاليته اسم وادي شقور الذي يقترن على بعد بضع كلمترات غرب تطوان بواديين مهمين يجريان على سفوح الذروة الجبلية الكلسية المرتفعة، وهما وادي الخميس الذي يجري من الشمال إلى الجنوب، ووادي المحجرات الذي يجري من الجنوب إلى الشمال، ويغذي سد النخلة. ويتجه مجرى نهر مرتيل نحو الشرق كلما اتسع الوادي في سهل فيضي شاسع ويرسم عدة منعطفات[35]، ثم يصب في ضفته اليسرى رافدين موسميين، وهما سامسه، وبوسافو الشجرة. وعلى بعد عشرة كلم من تطوان، يصب هذا النهر في البحر المتوسط جنوب مرتيل.

---

[33]- POTOCKI, J., *Voyage dans l'Empire du Maroc, fait en l'année 1791*. Préface de Jean-Louis Miège, Paris, Maisonneuve et Larose, 1997, p. 18:« «J'ai débarqué [le 2/7/1791] à l'entrée d'une rivière assez considérable dont la barre n'est pas exempte de danger. Ses bords sont de sable et de bruyères. Des groupes de pêcheurs sont établis sur toutes les pointes que fait le rivage.»

لم يسم بوطوكي هذا النهر باسمه في صفحات :18؛ و39؛ و66-67؛ وسماه بسيْل بوصفيحة (Bousfiah) في ص. ص. 80-81، مذكرا باحتمال مطابقة هذا الاسم لاسم (Bousherah) الذي أورده الخرائطي الألماني هومان (J. B. Homann) في أطلسه الذي صدر في نورمبرغ (Nuremberg) سنة 1716. وهو الاسم نفسه الذي أطلقه دو فوكو عليه خلال زيارته لتطوان ابتداء من 1883/6/22 ؛ انظر :

FOUCAULD (Vicomte Ch. De), *Reconnaissance au Maroc* 1883-1884, Paris, 1888, p. 3 :«Dans toute la route [entre Tanger et Tétouan], un seul passage difficile, les environs du col. […] Un seul cours d'eau important, l'Ouad Bou Çfiha (berges escarpées de 5 à 6 mètres de haut ; eau claire et courante de 6 à 8 mètres de large et de 0,30 à 0,40 centimètres de profondeur ; lit de gravier). On le franchit sur un pont de deux arches en assez bon état».

[34]- RENOU, E. J., *Description géographique de l'Empire de Maroc*, Paris, Impr. Royale, 1846, pp. 303- 304.

[35]- يبدو، حسب مازار (J. Mazard)، أن "دار السكة" في تمودة قد شرعت في سك النقود في عهد بوخوس الثاني (Bocchus II) الذي مثلت صورته على كل النقود التي ضربت في تمودة ؛ ونجد على ظهر هذه القطع باستمرار، سنبلتي قمح يفصلهما منعطف نهر، يرمز إلى أحد منعطفات وادي مرتيل الحالي، وعلى ظهر بعضها الآخر، يوجد إما نفس المنعطف، وعلى جانبيه سنبلة قمح على اليمين، وعنقود عنب على اليسار، وإما نجم ساطع ؛ راجع :

MAZARD , J. , *Corpus Nummorum Numidiae Mauritaniaeque*, Paris 1955, pp. 178-179, 258 ; *Idem*, Création et diffusion des types monétaires maurétaniens, *B. A. M.*, IV, 1960, p. 115.

ويتميز نظام جريان أودية جهة تطوان بعدم الانتظام، وغالباً ما تجري على شكل سيول (في بداية مارس 2005، سقطت 200 ملم من الأمطار في ظرف يومين، وهو ما يعادل ثلث التساقطات السنوية). ويعرف نهر مرتيل عدة فيضانات يخرج خلالها من مجراه الاعتيادي ليفيض ويغطي كل سهله الغريني[36].

4- اسم نهر تمودة :

لقد وصل إلينا اسم تمودة بفضل بلين الشيخ[37] الذي يُعتبر نصه أقدم نص ذكر هذه المدينة حيث قال :« (...) ابتداء من هذه الجبال [ناحية سبتة]، يبدأ الساحل المتوسطي، حيث نجد نهر تمودة القابل للملاحة، وقديما، مدينة تحمل نفس الاسم أيضا، (...)». ولقد تأكد علماء الآثار من وجود المدينة التي تحمل نفس الاسم بعد أن عثروا بين أنقاضها على نقيشة نقش عليها اسم تمودة باللاتينية[38]. واكتشفت هذه النقيشة في تمودة سنة 1933 ؛ وهي تذكر بالانتصار الذي حققه حاكم (*praeses*) موريطانيا الطنجية على الغزاة، ربما الجرمان، في 253 أو 257.

وفي القرن الثاني، حدد بطليموس موضع مصب نهر تمودة الذي نجده على شكل (Θαλούδα) في النسخة التي اعتمدها تيسو (Ch. Tissot)، أو على شكل (Θαμούδα) في النسخة التي اعتمدها مولر (C. Muller)، بين إياغاث غرباً، و رأس الزياتين البرية شرقاً، وخط طوله ’30 °8، وعرضه °35 [39].

ولقد ذكر بومبونيوس (Pomponius Méla) ميلا أيضا نهر تمودة « *Tamuda fluvius* » في إطار وصفه للساحل المتوسطي للمغرب[40].

ونهر تمودة هذا، أو (*flumen Tamuda*) يوافق النهر الذي كان قابلا للملاحة والذي يصب في جون على بعد ستة أميال شرق تطوان، وهو الذي يسمى اليوم بوادي مرتيل أو مرتين[41].

ويعتقد تيسو (Ch. Tissot) أن اسم المكان "*تمودة* " الذي أورده بلين في "تاريخه الطبيعي"، هو اسم ليبي، يوجد في اللهجة الأمازيغية على شكل ثامدة « *Tamda* »، ومعناه حسب تيسو (Ch. Tissot) في

---

[36] - *Analyse des impacts environnementaux des futurs ouvrages de traitement des eaux usées de Tétouan*, Amendis, Mars 2005, (inédit), pp. 20-21.

[37] - PLINE, *H.N.,* V, 18 : « (…) *Ab his ora interni maris, flumen Tamuda nauigabile, quondam et oppidum, (…) ».*

[38] - THOUVENOT, R., « Une inscription latine du Maroc », *REL*, XVI, 1938, pp. 266-268. Cette inscription permet d’apporter quelques modifications à la ponctuation d’un passage de Pline : « *flumen Tamuda nauigabile quondam, et oppidum…* », au lieu de : « *flumen Tamuda nauigabile, quondam et oppidum …* »; TARRADELL, M., La crisis del siglo III de J.-C. en Marruecos, *Tamuda*, III, 1955, pp. 87-92.

[39] - CLAUDII PTOLEMÆI, *Geographia*. E codicibus recognovit, prolegomenis, annotatione, indicibus, tabulis, instruxit Carolus Mullerus, vol. I, Paris 1901, p. 582; *Le Maroc chez les auteurs anciens*, p. 37; SCHMITT, P., *Le Maroc d’après la "Géographie" de Claude Ptolémée*; thèse de doctorat de 3e cycle, Tours 1973, pp. 144-146.

[40] - POMPONIUS MELA, *Chorographie* ; Texte établi, traduit et annoté par A. SILBERMAN, Paris 1988, I, 5, 29, et p. 119, n. 10.

[41] - TISSOT, Ch., « Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane », *Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des inscriptions et Belles Lettres de l’Institut de France ,* 1è s., IX, Paris, 1878, p.157; DESANGES, J., *Pline l’Ancien*, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1-46 (L'Afrique du Nord), p. 149.

«لهجة شلوح الأطلس»: « بركة، مستنقع »[42]. وجلي أن المؤلف يقصد لهجة سكان الريف وليس شلوح الأطلس ! وتستند فرضية تيسو (Ch. Tissot) هذه فعلا على معنى كلمة *ثامدة* في لهجة سكان الريف الغربي اليوم، إذ تعني هذه الكلمة « بركة، مستنقع في السهل الفيضي لمجرى نهر ».

ولقد ذكر محمد الرهوني تيسو(Ch. Tissot)، وأوضح أن وادي مرتيل يوافق بالفعل (Θαλοϋδα) الذي أورده بطليموس، و (*Tamuda*) الذي أورده بلين، والذي يعني « مستنقع ». يقول الرهوني :

« وأما بعد التاريخ، فذكر الجغرافي الشهير، المسيو تيسو الفرنساوي، أن وادي مرتيل، هو الوادي المسمى بالوادي تماودة، التي أشار إليها المؤرخ الجغرافي طولوميو اليوناني، أو ثمدة، المذكورة عند الجغرافي الروماني اللاطيني ابلين. ومعناها باللغة البربرية المرجة. وغير خفي أن وادي مرتيل كان في القديم محاطا بمروج، كما هو الآن، إلى أن يتصل بالبحر، فلا يبعد أن تكون تسمية البلدة المذكورة بثمدة أو ثامدة لأجل ذلك، (أي من باب تسمية الشئ باسم مجاوره).

ثم إن تلك المروج كانت في القديم كبيرة، ثم صارت صغيرة، ولازال مرج بني معدان كبيرا، (إلا أنه يبقى أن يقال إن المؤرخ ابلين ذكر أن واديا كان موجودا في الشط الشرقي من المغرب، يسمى وادي تامدة، أي وادي المرجة). ونحن نرى فيما بين سبتة وتطوان أودية ذات مروج، فلا ندري مراد المؤرخ ابلين من هاذه الأودية.

نعم. تصريحه بقوله إنه يوجد في شاطئ هاذا الوادي مدينة تسمى تامدة، يعيِّن أن مراده هاذا الوادي المسمى الآن بوادي مرتيل، (أي لأنه يوجد في منتهاه، تحت مدشر دار الزكيك[43]، أثر المدينة التي كانت تسمى بهاذا الاسم، كما أظهره الحفر الواقع [الآن] في عام 1340).

قال المؤرخ تيسو:

لا يبعد أن تكون بلدة ثامدة كانت مبنية في موضع عال، هو الموضع الذي بنيت فيه فيما بعد مدينة تطوان، مستدلا على ذالك بأنه لو كانت المدينة مبنية بالمرجة، تحت الوادي، لتضرر سكانها من أوخام المروج، ولماتوا وانقرضوا، وبأن العيون الموجودة بتطوان، مظنة سكنى الناس عليها. انتهى.

قد تحقق من الحفر الجاري، أن ثمدة غير مدينة تطوان، وما ترجاه المؤرخ المذكور من تضرر سكانها بالوخم، يظهر أنه هو الواقع، فإن أهله انقرضوا، وانهدم البلد، وغاب تحت الأرض، حتى كشفته الأبحاث العصرية.

[...]أقول: ملخص هاذا كله، وجود مدينة قديمة على شاطئ وادي مرتيل، الذي كان يسمى بوادي ثمدة، كما كانت تلك المدينة تسمى ثمدة أيضا. وكون هاذه المدينة هي تطوان، لا دليل عليه. وما استدل به، لا ينتج المطلوب، لاسيما وقد كشف الغيب أن مدينة ثمدة، غير تطوان، بدليل العيان. ثم إن قوله: إن كلمة ثمدة بربرية، غفلة. بل الكلمة عربية خالصة. ففي القاموس:

« الثمد، ويحرك، وككتاب، الماء القليل لا مادة له، أو ما يبقى في الجلد، أو ما يظهر في الشتاء، ويذهب في الصيف. وثمده وأثمده واستثمده، اتخذه ثمدا. واثتمد واثمد على، افتعل، ورده».

ص. 162: وهذا المعنى الذي هو الماء الذي لا مادة له، هو المعني عندنا في العرف العام بالمرج. وإن كان معنى المرج في لغة العرب، الموضع الذي ترعى فيه الدواب، كان فيه ماء أم لا، فتحصل من هاذا أن وجه تسمية وادي مرتيل، بوادي ثمدة، وتسمية المدينة التي كانت مبنية على ضفته الجنوبية قديما وانهدمت إلى أن انكشفت الآن، بمدينة ثمدة ظاهر، وأن التسمية عربية، وأن هاذه المدينة غير مدينة تطوان، إلا أن يقال إن المدينة كانت آخذة من سفح الجبل حيث هي الآن، إلى ذالك الموضع الذي على الضفة الأخرى للوادي، فتكون مدينة كبيرة جدا، وهو بعيد بحسب القرائن. والله أعلم بغيبه.

ثم إنه يوجد موضع آخر يسمى ثمدة أيضاً، وذلك قرب القصر الكبير. وهو الموضع الذي وقعت فيه وقعة وادي المخازن، كما في التواريخ العربية، فتأمل[44]».

---

[42] - TISSOT, Ch., « Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane », p. 157 : « L'oued Martil forme de vastes marécages à son embouchure et c'est évidemment à cette particularité qu'il a dû son nom primitif de Tamuda ».

[43]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 7، منشورات تطاون أسمير، 2007، ص. 40 : « أولاد الزّكيّك: و أولاد الزّكيّك، كلهم من مدشر صغير ببني حُزمر، قريب من وادي السّويّر، فوق مدينة ثمدة القديمة؛ يسمى دار الزّكيّك. وهو مصغر زُكّ، بضم الزاي. وهو بلغة البربر، الدُّبر. »

[44]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، منشورات تطاون أسمير، 1998، ص ص. 160- 162.

غير أن محمد الرهوني عندما يقول بأن كلمة ثمدة عربية خالصة لا يفسر كيف يمكن أن يكون الأمازيغ قد استعملوا هذا الاسم قبل الفتح العربي للمنطقة بقرون[45] ؟

5 - نهر تمودة يصبح *وادي راس*، *ووادي مجكسة*، *وقوس* :

لا نعرف اليوم متى لم يعد نهر تمودة يسمى بهذا الاسم، وأصبح يسمى بوادي راس ووادي مجكسة حسب البكري[46]. فهل استمر الاسم الروماني (الأمازيغي الأصل) يستعمل لمدة ما بين الأهالي بعد القرن الخامس، وهو تاريخ نهاية تمودة الرومانية، إلى أن عوضه الاسم الأمازيغي الجديد في تاريخ ما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر، حيث ألف البكري كتابه ؟

ويبدو حسب محمد الرهوني[47] أن ناحية تطوان كانت تسمى في مؤلفات الجغرافيين العرب بالمجكصة [بالصاد]، وأن تطّاوين كانت مركزها. فمحمد بن يوسف، حسب البكري، سمى وادي مرتيل نهر المجكصة، والبكري يسمي وادي راس - الذي قد يوافق وادي راس الحالي - وادي المجكصة. كما أن صاحب "المسالك والممالك" يذكر مجكسة [بالسين] أيضا كاسم بلد وليس كاسم نهر[48].

ولقد ذكر الإدريسي أيضاً اسم مجكسة، كاسم قبيلة من البربر تسكن حصن تطّاون[49]. ويتبين مما ذكِر أن اسم مجكسة هذا أطلق كاسم نهر وبلد وقبيلة، مثله مثل تمودة الذي أطلق على النهر والمدينة معاً.

ويسمي مارمول كربخال هذا النهر " *قوس* "، ويذكر أن المجاهدين المغاربة كانوا يجهزون في تطوان سفن القرصنة، ويستعملون النهر المذكور في عملياتهم البحرية « لغزو الشواطئ المسيحية » خلال القرن السادس عشر، في عصر فليب الثاني[50].

---

[45] - GHOTTES, M, "Histoire des fouilles à Tamuda", en Bernal-Raissouni-Ramos-Zouak-Parodi (eds.), *En la Orilla africana del Círculo del Estrecho. Historiografía y proyectos actuales. Colección de Monografías del Museo Arqueológico de Tetuán (MMAT II). Actas del II Seminario Hispano-Marroquí de Especialización en Arqueología*. Cádiz, 2008, p. 460.

[46]- البكري، **المسالك والممالك** (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب)، ص. 107 :« ومدينة تطاوان على أسفل **وادي راس**، وقال محمد [بن يوسف القيرواني] **وادي مجكسة**. وهذا النهر يتسع هناك وتدخله المراكب اللطاف من البحر حتى تصل إلى تطاوان. ومسافة ما بين البحر وبينها عشرة أميال. وهي قاعدة بني سكين، بها قصبة للأول ومنار وبها مياه كثيرة عليها الأرحاء».

[47]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 165 .

[48]- البكري، **المسالك والممالك** (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب)، ص. 107:«وجبل الدرقة يتصل ببلاد غمارة ويسكن آخره من غمارة بنوحسين بن نصر. ثم إلى نهر راسن، ومنبعثه من موضع يعرف بتيطسوان من جبل بني حاميم. ثم إلى سوق بني مغراوت، وهو آخر **بلد مجكسة** في غربي نهر راسن».

[49]- الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج 2 ، ص. 531 : « ومن مدينة سبتة السابق ذكرها بين جنوب وشرق إلى حصن تطاون مرحلة صغيرة، وهو حصن في بسيط الأرض، وبينه وبين البحر الشامي خمسة أميال وتسكنه قبيلة من البربر تسمى **مجكسة** ».

[50]- مارمول كربخال، **افريقيا**، ج 2 ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وأحمد بنجلون، الرباط، مطابع المعارف الجديدة، 1988 - 1989 ، ص ص. 222 :« تقع هذه المدينة [تطوان]، التي أسسها أهل البلاد، على ضفة نهر قوس، الذي ينحدر من الأطلس الكبير ويصب في المحيط [المقصود جبال الريف والبحر المتوسط] على بعد سبعة فراسخ من سبتة، في اتجاه الشرق، في المكان المسمى مصب تطوان». وانظر أيضا ص ص. 223 – 224 ؛ وراجع :

BENJELLOUN, A., Luis Del Marmol Carvajal et Tétouan, *Actes du Colloque Tétouan aux* XVI et XVII s.; 9, 10 et 11 mars 1995, Tétouan 1996, pp. 165-203.

وكان رونو[51] (RENOU) قد أشار في القرن التاسع عشر إلى أن المدينة كانت محصنة بسور وحصن شيد فوق أعلى التل الذي بنيت فوقه المدينة ؛ وهو الحصن الذي يسميه مارمول كربخال، حسب رونو، (*Castel d'Adives*). وذكر رونو النهر الذي يجري جنوب المدينة في اتجاه الشرق حيث يصب في البحر عبر مصب شاسع بما فيه الكفاية ؛ ويوجد مبنى الديوانة المسمى مرتيل أو مرتين على بعد كيلومترين أو ثلاثة كلم من هذا المصب. ويضيف الكاتب الفرنسي أن النهر يسمى عادة بنفس الاسم الذي تحمله الديوانة.

6- أسماء الأجزاء المختلفة التي تشكل وادي مرتيل :

بُنيت تطوان، حسب الرهوني[52]، « بسفح جبل *أرسى*. ويمر أسفلها وادي كبير، ينتهي إلى البحر» ؛ ويسميه محمد داود بـ « النهر الكبير الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط »[53]. وهذا "الوادي الكبير"، على حد تعبير الرهوني، أو " النهر الكبير " حسب داود، لا يسمى باسم واحد عام يطلق على جميعه، مثل نهر سبو، ونهر ورغة ونهر اللكوس الخ[54]. فكل قطعة منه تسمى باسم خاص. ويذكر صاحب "عمدة الراوين" مجموع هذه الأسماء انطلاقا من قنطرة أبي صفيحة التي توجد غرب مدخل المدينة، والتي بناها أحمد بن عبد الكريم الحداد، بأمر من المولى عبد الرحمن سنة 1270[55] (1853 م)[56]. ويسمى نهر مرتيل قبل هذه القنطرة بوادي الحرشة، وهو الاسم الذي يطلق على الجزء الواقع بين قنطرة أبي صفيحة، وفندق العين الجديدة[57]. ثم يسمى عند هذه القنطرة بوادي أبي صفيحة[58]، وهو « نازل من العيون التي بين جبال الحوز الصديني، وقبيلة أنجرة ووادي راس ثم لايزال يسمى بأسماء إلى أن ينتهي للبحر. فيسمى عند القنطرة بـ**أبي صفيحة**، ثم يسمى بـ**أبي جَلّة**. وحوله مزارع تسمى وطاء أبي جلة. ثم

---

[51] - RENOU, Émilien Jean, *Description géographique de l'Empire de Maroc*, pp. 303- 304.

[52]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 210 ؛ ويسميه السكيرج أيضا بالوادي الكبير، انظر : عبد السلام السكيرج، **نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان**، تقديم وتحقيق يوسف احنانة، تطوان، مطبعة الخليج العربي، 2005، ص ص. 48، 53.

[53]- محمد داود، **مختصر تاريخ تطوان**، مراجعة وتنقيح : حسناء داود، المسارة 2008، ص. 20.

[54]- محمد داود، **تاريخ تطوان**، المجلد الأول، تطوان، مطبعة كريماديس،1957، ص. 62، حاشية رقم 1.

[55]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 2، ط 2، منشورات تطاون أسمير، 2001، ص. 83 : « فازداد [أحمد بن عبد الكريم الحداد] حظوة عند السلطان [عبد الرحمن ابن هشام]، ومكانة عند الناس؛ عاش بها في ستر الله، إلى أن توفي رحمه الله، في عام 1274، بعدما بنى قنطرة أبي صفيحة، وشيد غيرها من الآثار التي لا زالت بالثناء عليه صريحة » ؛ ومحمد داود، **تاريخ تطوان**، القسم الثاني من المجلد الثالث، المطبعة المهدية، تطوان، ص. 339.

[56]- وهي القنطرة التي أشار إليها دو فوكو خلال زيارته لتطوان في أواخر يونيو سنة 1883 ؛ انظر الهامش 33، ص. 5 أعلاه.

[57]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 3، ص. 117.

[58]- انظر : عبد السلام السكيرج، **نزهة الإخوان**، ص. 45 ؛ ومحمد داود، **تاريخ تطوان**، القسم الثاني من المجلد الثالث، ص. 269 ؛ ويسميه داود في ص. 339 : « نهر بوصفيحة ». ويسميه محمد الضعيف الرباطي أيضا "بوادي بوصفيحة"، انظر : **تاريخ الضعيف**، ص ص. 198، 228.

يسمى بـ**السوير**[59]، وذلك عند سور المدينة القديمة التي كانت تسمى (ثامدة)، (...). ثم يسمى بـ**المطيربة**، وكأنه محرف عن المضيربة، تصغير مضربة، ثم يسمى بـ**العدوة**. وله مجازان، أي مشرعان.

أحدهما يسمى **مجاز العطارة**. والعطارة في عرفنا اسم للماء المضاف، من باب تسمية الشيء باسم ضده، على طريقة المجاز المرسل، كالعافية للنار، والسالمة للحمى.

والمشرع الثاني يسمى **مجاز العدوة**، ثم يسمى بعد ذلك بـ**مجاز الحجر**، ثم يسمى بـ**كيتان**[60]. وأول مشرع لـه **مجاز الزيتون**[61]، حيث ينزل فيه الماء النافع من العين الزرقاء، التي في وسط مدشر يرغيث. وهي عين عجيبة تخرج من كهف تحت صخر مرتفع نحو خمسين مطرا فأكثر. وينبع منها ماء غزير عذب للغاية. يكون واديا كبيرا يدير أرحاء يرغيث وكيتان، ويسقي غراس كيتان كلها، ثم تنزل فضلته في الوادي الكبير المنتهي إلى البحر[62].

ويسمى هاذا الوادي المكون من ماء هاذه العين (**بوجداد**[63])، مقلوب (دجاج). ولعله سمي بذلك لكثرة دجاج المدشرين المذكورين، وأهل الغراس المذكورة به، أو لوجود دجاج الماء فيه. وكان شيخنا السلاوي يسميه بـ**أبي شداد**. ولا ندري مستنده في ذلك.

ثم يسمى بـ**المحنش**[64]، وذلك عند القنطرة المشيدة به قديما وحديثا، ثم يسمى بـ**القطيفة**، مصغر قطيفة. والقطيفة الزربية. ولعل وجه التسمية وجود زرابي الأزهار والأنوار بشطيه، كما هو مشاهد. ثم يسمى بـ**المريش**، إما لكثرة التيارات الموجودة فيه بهبوب الرياح اللطيفة، أو بسبب كون الناس يغسلون فيه النوع من التفاح المسمى بالمريش، الموجود بكثرة في أجنة هاذه الناحية، وهو نوع لطيف حامض، فيه خطوط حمر وخضر وبيض، كأنها ريش النعام. ثم يسمى بـ**مجاز الحمارة**. وهو مجاز يمر به بنو معدان. ثم يسمى بـ**مجاز الشطبة**[65]. وهو مجاز فيه أشجار أطراف. والشطبة غصن الشجرة. ويستمر هكذا إلى أن يصب في الموضع المسمى **دقم الوادي**، أي فم الوادي.

وأما ما تحت المدشر المذكور [بوسملال]، فيسمى باسم العدوة. وفيه غراس كثيرة، (...). ومنتهاها ما قابل مجاز الحجر، فإنه يسمى باسم مجاز الحجر. (...) وينتهي إلى ما يقابل الدردارة. ثم يسمى بحومة ورگان، من شط الوادي إلى قرب مدشر بني صالح. ثم يسمى بتاغزوت، إلى أن ينتهي لما يسمى ببوقديرة. ثم يسمى بالمقاصب، ثم بالمنية، ثم بالمنافع، ثم بالجنب، بضم الجيم. وهناك تنتهي حومة الغراس، المسماة بكيتان. ومبدأها من تاغزوت إلى الجنب، ثم تسمى حومة المحنش»[66].

وكان لوي دو شينيي (L. de Chénier) في القرن الثامن عشر قد سمّى كل نهر مرتيل *بوصفيغة* (Bousfega)، وذلك في إطار وصفه لساحل الريف :« عندما نجتابه [ساحل الريف]، من الشرق إلى

---

[59]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 170: « ذكر بعض أهل تطوان أن البرتغال بنوا مدينة صغيرة على شاطئ وادي السوير، قبل وصول مهاجري غرناطة إلى تطوان. (...) (أقول: وهاذه البلدة هي التي اكتشفت الآن، وتدل الآثار السابقة أنها هي المدينة الرومانية التي كانت تسمى ثمدة. والله أعلم).
والمحل المذكور، المسمى بالسوير، أي (الاستحكام الصغير، أي البرج الصغير، واقع في زاوية الوادي المتصل بالوادي الكبير، والأنقاض الموجودة به تستر عدة هكتارات.» ؛ **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 2، ص. 75: « وادي السّويّر »؛ و ج 7، ص. 40 ؛ ومحمد داود، **تاريخ تطوان**، القسم الثاني من المجلد الثالث، المطبعة المهدية، تطوان، ص. 280.

[60]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 7، ص ص. 43- 44 : « (...) وكانت [امرأة غرباوية] تسكن خارج البلد، تارة في نواحي كيتان، وتارة في مرتيل، إلى أن وُجدت ميّتة (قرب الواد)، عام 1331.
ومما شوهد من خوارقها، أنها كانت تقطع وادي كيتان، وهو حامل ؛ لا يُقطع إلا بالقارب » ؛ محمد داود، **على رأس الأربعين**، ج 1، تقديم وتعليق حسناء داود، تطوان 2001، ص. 25.

[61]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 6، منشورات تطاون أسمير، 2006، ص. 23 : « (...) ويذكر أنه (أي سيدي محمد بن المهدي البقالي)، كان يذهب لجنانه الذي كان له بالدَّردارة، القريب من مجاز الزيتون، الممرور عليه لعُدوة كيتان، كل يوم خميس، مصحوبا بطلبته. وإذا وصل للموضع المسمّى بظهر المحنش، ينفرد عنهم قليلا، ويقف وقفة متوسطة. »

[62]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 210.

[63]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 3، تطوان 2003، ص ص. 39-40 : « أبو جداد: اسم الوادي النازل من العين الزرقاء التي بمدشر يرغيث، إلى أن يصب في وادي كيتان، قرب مجاز الزيتون. و"جداد"، في لساننا العامي، مقلوب "دجاج". ولعل وجه التسمية وجود دجاج الماء فيه. والله أعلم. وكان شيخنا السلاوي يسميه واد أبي شداد. والله أعلم بسنده في ذالك.»

[64]- ويذكر الرهوني "مجاز المحنش" في ج 2 من **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ص. 75 ؛ وكذلك محمد داود، **تاريخ تطوان**، القسم الثاني من المجلد الثالث، المطبعة المهدية، تطوان، ص. 280.

[65]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 3، ص. 104 ؛ و ج 4، منشورات تطاون أسمير، 2003، ص. 156.

[66]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 211.

الغرب، نجد نهر بوصفيغة (Bousfega)، بالقرب من تطوان، حيث ترسو سفن المغرب الشراعية الصغيرة (les galiotes) وتشتّي، تحت حماية حصن رديء »[67].

وفي خريطة تطوان الطوبوغرافية 1/50000، المؤرخة بسنة 1970، تغذي النهر غرب قنطرة بوصفيحة ثلاثة روافد، وهي وادي الخميس، ووادي شقور اللذان يلتقيان ببعضهما عند القنطرة الأولى التي تلقى القادم إلى تطوان من طنجة. ثم يلتقي النهر الذي يؤلفانه بوادي المحجرات غرب تمودة، ليشكل الكل وادي مرتيل.

7- قابلية نهر مرتيل للملاحة :

نعرف انطلاقا من نص البكري[68] أنه بعد نهاية تمودة الرومانية خلال النصف الأول من القرن الخامس، استمر نهر مرتيل في القيام بدور مهم في حياة تطوان، المدينة التي ستخلف تمودة على الضفة الغربية لوادي مرتيل، والتي ستصبح أول مرفأ مغربي في القرن الثامن عشر[69].

ويخبرنا أحمد الرهوني عن الطريقة التي كان يتم بها إخبار السكان بوصول السفن إلى تطوان، بحيث كان القائد الأندلسي أبو الحسن علي المنظري، الذي أعاد بناء المدينة، يبقى دائما فوق سور القصبة، وبيده نفير طويل ينفخ فيه، كلما رأى مركباً في البحر يتجه نحو المدينة، خمس أو سبع مرات، بحسب حجم المراكب، أو تسع مرات في حالة ما إذا كان المركب مركباً كبيراً أو حربياً. « [...] قال الأديب الغنمية، كنا نسمع أنه كان يضرب الطبل عند مشاهدة المراكب إيذاناً بوصولها، ثم لما اتسع عمران المدينة بالبناء، انتقل عمل الإشعار بوصول المراكب بحومة الطالعة نفخاً في البوق المسمى بالنفير[70] ».

ويشير الناصري[71] إلى غزو أسطول هنري الثالث تطوان سنة 1400، وتخريب سفنها التي كانت راسية بوادي مرتيل، بسبب أعمال الجهاد البحري وغارات قراصين المسلمين من أهل المدينة على سواحل إسبانيا. فابتداء من « القرن XV، صارت هذه المدينة مركزا للقراصين البحرية التي كانت تغير على جميع البلدان الإفرنجية وخصوصا سواحل إسبانيا، فيغنمون ويأسرون ويرجعون إليها. وقد

---

[67] - CHENIER, Louis de, *Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc*. T. III, Paris, 1787, p. 18 :« En la parcourant [la côte du Rif] de l'est, à l'ouest, on trouve la rivière de Bousfega, auprès de Tétuan, où les galiotes de Maroc mouillent & hivernent, sous la protection d'un mauvais fort.»

[68]- البكري، **المسالك والممالك** (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب)، ص. 107 .

[69]- جون لوي ميج، **أنشطة تطوان البحرية والتجارية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر** (ترجمة مصطفى غطيس)، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد 7، 1994، ص ص. 61 – 108؛ جون لوي ميج، امحمد بن عبود، نادية الرزيني، **تطوان، الحاضرة الأندلسية المغربية**، (ترجمة مصطفى غطيس)، طنجة، 2002، ص ص. 39؛ 52 - 53.

[70]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 175.

[71]- الناصري، **الاستقصا**، ج 4 ، ص ص. 89 - 90.

كانت حرفة القرصنة، أي قطع الطريق في البحر والإغارة على السواحل عامة من جميع الثغور المغربية، وبالأخص قراصين تطوان، لقربهم من سواحل إسبانيا[72] ».

ولقد استمر بعد ذلك نشاط الجهاد البحري، انطلاقا من وادي مرتيل ؛ ففي 1495، هاجم المنظري، الذي كان على رأس التطوانيين، أصيلا وغنم السفن والأسرى... وشاهد الحسن ابن الوزان[73] خلال إحدى زياراته لتطوان ثلاثة آلاف أسير مسيحي لابسين جميعا سترات من الصوف، ينامون ليلا مقيدين في الأصفاد داخل سراديب تحت الأرض ؛ وهو ما يفسر، حسب الرهوني، وجود بعض الأزقة في المدينة تسمى بالمطامير[74].

وكان فليب الثاني قد بعث في 1564 أسطولا تحت إمرة غرسيا دي طوليدو (Garcia de Toledo) لمهاجمة وهران، وجزيرة النكور ؛ ثم حاول القائد الإسباني أن يتوغل في وادي مرتيل الذي كان « عشاً للصوص المغاربة (أي المجاهدين)، فوجد فمه مغلقاً بمراكب معمورة بالحجارة لمنع دخول المراكب الأجنبية منه، فلم يحصل غرسيا دي طوليدو على نتيجة...»[75].

ولقد أشار دان[76] (P. Dan) في كتابه الصادر سنة 1637 إلى شهادة الحسن ابن الوزان بخصوص عدد الأسرى المسيحيين الثلاثة آلاف، وجعل تطوان « من بين المدن التي تمارس القرصنة، ووكرا من أوكار قراصنة " بلاد البربر " ».

وذكر بيدو دو سانت-أولون[77] (Pidou de Saint-Olon) في مؤلفه الصادر سنة 1695 كيف كان القنصل الفرنسي وكل التجار الأجانب المقيمون في تطوان يؤدون، على اختلاف جنسياتهم، ضريبة على المراكب التي كانت ترسو بميناء تطوان النهري، تبلغ ثلاث أوقيات لكل مركب، ويتكلفون بمصاريف

---

[72]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 169.

[73]- الحسن ابن الوزان، **وصف افريقيا**، ج 1، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت – الرباط، 1983، ص ص. 318 - 319 .

[74]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 180 .

[75]- أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 182 ؛ و :
RENOU, Émilien Jean, *Description géographique de l'Empire de Maroc*, p. 304 :« En 1564, Philippe II, voulant détruire ce port, qui servait de refuge à de nombreux corsaires, combla l'entrée de la rivière au moyen de navires chargés de pierre ; mais cette opération, qui réussit, n'eut qu'un effet d'une courte durée. (…).»

[76] - DAN, P., *Histoire de Barbarie, et de ses corsaires*. Livre second, Paris, Chez P. Rocolet, 1637, pp. 215-216:« La ville de Tetuan doit bien estre mise encore au nombre de celles de ces Corsaires de Barbarie, puis qu'il est vray qu'autrefois elle a seruy de repaire à telle engeance d'hommes brutaux ; & que fuiuant la remarque qu'en fait un Autheur, il s'y est treuué jusques au nombre de trois milles esclaues Chretiens. Il est vray que maintenant elle ne s'eschauffe plus si fort apres ce metier, à cause que pour tous vaisseaux de course, il y a seullement quelques petites fregates, qui courent par fois les cotes d'Espagne, qui n'en sont pas beaucoup éloignées.».

[77] - PIDOU DE SAINT-OLON, F., *Relation de l'empire de Maroc où l'on voit la situation du pays*,... Paris, Vve Marbre-Cramoisy, 1695, p. 13 :« Le Consul François & tous les Marchands qui y sont établis [à Tétouan], quoi que de nation & de Religion différentes, y entretiennent à frais communs, outre le droit de trois écus qui se lève pour ce sujet sur chaque Vaisseau, Tartane ou Barque qui y abordent, un petit Hôpital avec deux Recollets Espagnols pour le service de la Religion, & pour la consolation des esclaves : Il y en a autant à Salé, & de la même manière.»

مستشفى صغير يشرف عليه راهبان فرانسيسكيان إسبانيان كانا ينظمان الشعائر الدينية ويقومان بمواساة العبيد الأسرى.

ويحدثنا الإنجليزي جون ويندوس (John Windus) في وصفه لتطوان سنة 1721 قائلا :

« وأمام المدينة سهل فسيح يشقه نهر يصلح للملاحة فيه بالمراكب الصغيرة التي تصل إلى مرتيل (يعني دار مرتيل التي كانت بها ديوانة ميناء تطوان، وما زالت هذه الدار موجودة حتى الآن) الذي يبعد عن الميناء بنحو ميلين، وبه تنزل شحنات السفن وسلعها، وعلى الشاطئ البحري تشعل النار للإعلام بكل محاولة ضد المدينة كما إذا وقعت حوادث أو حصل هجوم[78] ».

وفي منتصف شتنبر 1727، وصف الإنجليزي برايث وايت (Braithwaite[79]) انخفاض منسوب النهر في فصل الصيف، وظروف دخوله والوفد المرافق له إلى خليج تطوان : « ويوم 1727/9/15، دخلنا خليج تطوان تحرسنا سفينة حربية خفيفة من أسطول الملك يقودها الكبتن طولارد، وقبل أن نلقي الأنجر، أرسل الأميرال بيريس أحد المغاربة إلى اليابسة ليعلم الباشا بوصولنا وليحضر الزوارق لإنزال هدايا صاحب الجلالة ولوازمنا، وقد عاد المغربي بالزوارق وحمل إلينا تحيات الباشا [عبد الملك بوشفرة]، وبعد الغذاء، غادر المستر روسل وجميع رجاله السفينة التي حيته عندئذ بسبع عشرة طلقة من مدافعها، وحينما اقتربنا من الشاطئ استحال على الزورق الكبير الذي أرسلتنا فيه السفينة الحربية أن يصل إلى اليابسة لارتفاع الحاجز الرملي عند مصب النهر، ولذلك اضطر البحارة إلى النزول إلى الماء لرفع الزورق[80] ».

ويستمر برايث وايت في وصفه الهام لنهر مرتيل قائلا : «(...) وواصلنا سيرنا على ضفة نهر صغير، ولكنه ذو مناظر مختلفة خلابة، ففوق المصب وعلى بعد ميلين من المكان المسمى مرتين (وهو المكان الذي يبحر منه الركاب، وتشحن البضائع منه إلى المدينة) يمكن دخول الزوارق الكبيرة في النهر، ولو صرف قليل من المال لأصبحت الملاحة ممكنة إلى المدينة وإلى ما بعدها بكثير، ويمكن فتح المصب على الدوام للمرور باستخدام

---

[78]- محمد داود، **تاريخ تطوان**، تطوان، دار كريماديس للطباعة، بدون تاريخ، الطبعة الثانية، القسم الأول من المجلد الثاني، ص. 63.

[79] - Braithwaite, *Histoire des révolutions de l'Empire du Maroc depuis la mort du dernier Empereur Muley Ismael*, Amsterdam 1731.

[80]- محمد داود، **تاريخ تطوان**، تطوان، القسم الأول من المجلد الثاني، ص. 116.

الجارفات وغيرها من الآلات المناسبة، ولكني لاحظت في جميع بلاد المغرب أنهم لا يعتنون بتاتاً بمثل هذه المؤسسات العامة النافعة، وأنهم يفضلون بناء المساجد والسقايات العامة التي تترك فيما بعد ليقوم بصيانتها رجال الدين[81]».

ولقد ظل نهر مرتيل قابلا للملاحة إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث ذكرت بعض النصوص المتعلقة بحرب تطوان (1860)، أن السفن الإسبانية كانت تصل إلى أرباض تطوان عبر هذا النهر[82]. وكان توفنو[83](R. Thouvenot) قد أشار في 1940 إلى شركة نرويجية كانت تفكر في الاستقرار في تطوان لتنظيم صيد الحيتان، نظرا لازدهار الصناعة المرتبطة بصيد هذه الثدييات البحرية في أقصى شمال المغرب، وذلك إلى غاية منتصف القرن العشرين، في موضع سانية الطريس، وكذا على ضفاف وادي مرتيل، بالقرب من مصبه، في موضع ما زال يسمى إلى اليوم بالإسبانية بايينيرا (Ballenera)، شأنه شأن الخليج الشمالي لسبتة الذي يسميه الإسبان (Bahia de la Ballenera).

8- طرق مواصلات تمودة واقتصادها :

بالرغم من كون تمودة لم تكن توجد على إحدى الطرق التجارية الرئيسية التي تذكرها النصوص القديمة كـ (*l'Itinéraire Antonin*[84])، فإننا نعرف أن هذه المدينة كانت على اتصال بباقي المدن الموريطانية في شمال المغرب، كطنجة وليكسوس. فلقد كانت تتصل بهذه الأخيرة ربما بواسطة طريق ثانوية كانت تمر عبر دار الشاوي، أو (*Julia Campestris*[85]) القديمة، فاثنين سيدي اليمني[86]. وكانت تمودة ترتبط بطنجة أيضا بواسطة طريق كانت تتخللها بعض الحاميات العسكرية القليلة الأهمية كدوغا (*Duga*) (آثار حصن البنيان)[87]. ويشك روبيفا (R. Rebuffat) في وجود هذه الطريق اعتمادا على (*l'Itinéraire Antonin*) الذي لا يذكر أي طريق تربط بين المدينتين، وهو ما قد يؤكد عزلة تمودة[88].

---

[81]- المرجع نفسه، ص. 119.

[82] -RUIZ DE CUEVAS, T., *Apuntes para la historia de Tetuan*, Tetuan 1951, pp. 5-7; TARRADELL, M., Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955, *Tamuda*, IV, 1956, p. 82; GOZALBES, E., «Fuentes para la historia antigua de Marruecos. 1- Fase prerromana», *C.B.E.T.*, n°16, Diciembre 1977, p. 132; GOZALBES CRAVIOTO, E. y GOZALBES BUSTO, G., «El desarrollo naval de Tetuan en el primer tercio del siglo XVI», *Actes du Colloque Tétouan aux XVI et XVII s*.; 9, 10 et 11 mars 1995, Tétouan 1996, pp. 29-46.

[83] - THOUVENOT, R., *Essai sur la province romaine de Bétique*, Paris 1940, p. 237, n. 5.

[84] - EUZENNAT, M., Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire Antonin, *Mélanges A. Grenier*, t. 2, Collection Latomus, 58, Bruxelles, 1962, pp. 595-610.

[85] - REBUFFAT, R., «Les erreurs de Pline et la position de Babba Iulia Campestris», *AntAfr*, 1, 1967, pp. 31-57.

[86]- MORÁN BARDÓN C., y GUASTAVINO GALLENT, G., *Vías y poblaciones romanas en el norte de Marruecos*. Madrid 1948, pp. 23-26.

[87] -TARRADELL, M., «El Benian, *castellum* romano entre Tetuán y Tanger», *Tamuda*, I, 1953, pp. 302-309; *Idem*., *Historia de Marruecos: Marruecos púnico*, Universidad de Rabat, Publicaciones de la Facultad de Letras, Instituto Muley El-Hasan, Tetuán, 1960, p. 97.

[88] - REBUFFAT, R., «Les erreurs de Pline et la position de Babba Iulia Campestris», p. 54, n. 2; PASTOR MUÑOZ, M., «El Norte de Marruecos a traves de las fuentes literarias griegas y latinas. Algunos problemas al respecto»,

إننا نعرف بفضل هذا النص الأخير، أن منطقتي الاحتلال الروماني في موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية كانتا على اتصال بواسطة البحر[89]. وتؤكد كولطيلوني طرانوا (M. Coltelloni-Tranoy) أن نص (*l'Itinéraire Antonin* ,10, 1-2) ذكر طريقا بحرية تربط الموريطانيتين، ولا يشير إلى طرق برية بينهما، وهو ما قد يؤكد أن الملاحة البحرية كانت السبيل الوحيد للاتصال بين بلاد شمال إفريقيا[90].

ويذهب بونسيك[91] (M. Ponsich) المذهب نفسه، ويعتقد أن مبادلات تمودة التجارية مع طنجة وليكسوس كانت تتم عبر النهر والبحر، وذلك بسبب انعدام الأمن الذي كان يميز الطرق البرية، في منطقة معروفة بعدم خضوع سكانها ورفضهم للاحتلال الروماني.

وحسب مومسن[92] (T. Mommsen)، « ليس هناك أي طريق تربط هذا الإقليم (موريطانيا الطنجية) بإقليم موريطانيا القيصرية ؛ ولقطع مسافة الخمسين ميلا التي كانت تفصل طينجي عن روسادير (مليلية)، كان ينبغي السفر بحراً، بمحاذاة ساحل الريف المقفر وغير الخاضع».

فسواء خلال الحقبة الموريطانية، أو الحقبة الرومانية المتأخرة، يبدو أن تمودة عاشت منعزلة عن باقي مدن شمال موريطانيا الطنجية، والطريق الوحيدة التي كانت تمكنها من الاتصال بالمدن الأخرى، هي الطريق البحرية، عبر نهر تمودة الذي كانت حياة المدينة الاقتصادية مرتبطة به أشد الارتباط.

وتتسم معلوماتنا عن اقتصاد تمودة ببعض الفقر، بسبب افتقارنا لنصوص تتحدث عن هذا الاقتصاد. فمعظم معلوماتنا بخصوصه تستقى من نتائج الأبحاث الأثرية التي تمكننا من تكوين فكرة دقيقة بعض الشيء عن اقتصاد المدينة ونواحيها، خاصة خلال الحقبة البونيقية والموريطانية، حيث لعبت المدينة دورا أهم بكثير من الدور الذي لعبته خلال العصر الروماني.

فبخصوص إنتاج القمح، كانت موريطانيا تعتبر قديما مخزنا من مخازن غلال الشعب الروماني[93]. وهناك أدلة تؤكد لنا أن أهالي المنطقة قد مارسوا منذ العصر الفينيقي زراعة الفول والقمح،

España y el Norte de Africa. Bases históricas de una relación fundamental. Actas del Primer Congreso Hispano-Africano de las culturas mediterráneas "Fernando de los Rios Urruti" (11 al 16 de Junio de 1984), 1987, p. 164, n. 136 y 138.

[89] - REBUFFAT, R., «Au-delà des camps romains de l'Afrique Mineure: renseignement, contrôle, pénétration», *ANRW*, II, 10. 2, 1982, p. 506.

[90] - COLTELLONI TRANNOY, M., *Le royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée*, Paris (Etudes d'Antiquités africaines, CNRS Editions), 1997, pp. 76-77.

[91] - PONSICH, M., *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région,* Paris 1970, p. 220 ; 291; *Idem,* «Le trafic du plomb dans le détroit de Gibraltar», *Mélanges d'archéologie et d'histoire offerts à A. Piganiol*, Paris, 1966, 3, p. 1278.

[92] - MOMMSEN, T., *Histoire romaine,* t. II, Livre VI. *Les provinces sous l'Empire*. Paris 1985, p. 946.

[93] - FLAVIUS JOSEPHE, *La Guerre des Juifs*, II, 16,4: « (…) Cette partie du monde habité, (…) bordée par l'océan Atlantique et les colonnes d'Hercule, (…) et ces peuples [les Maures et les Numides], outre leurs productions

وغرس أشجار الزيتون، الشيء الذي يضفي بعض الصحة، حسب بونسيك (M. Ponsich)[94]، على أسطورة جنة الهيسبيريد التي كانت تقع، حسب القدامى، بين طنجة وليكسوس[95].

فلقد استغل سكان تمودة وأرباضها السهل الغريني الخصب الذي أسست بجانبه المدينة، ومارسوا فيه الزراعة بشكل مكثف، كما تدل على ذلك مجموعة الأدوات الزراعية التي عثر عليها لحد الآن، والتي نذكر من بينها آلات الحرث الحديدية التي تشبه تلك التي وجدت في مجموع ربوع حوض البحر المتوسط[96].

ولقد صدّرت تمودة على الأرجح، عبر النهر، المواد الغذائية كالحبوب التي مثلت على نقودها، شأنها شأن العنب[97]، وكذلك الرصاص الذي كانت مناجمه كثيرة في وادي مرتيل، وعلى طول الشاطئ الممتد من امسى إلى غرب سبتة[98].

وكانت المناجم المحيطة بتمودة تحتوي على الرصاص المشوب بالفضة، استغلت بصفة خاصة خلال العصر الروماني، حيث عثر في هذه المناجم على قناديل ترجع إلى هذا العصر. ويعتقد بونسيك[99] (M. Ponsich) أن المعادن المستخرجة في نواحي تمودة، كانت تجمع في هذه الأخيرة قبل تصديرها إلى طنجة عن طريق البحر، عبر النهر، ومن طنجة إلى باقي المدن الواقعة شمال المغرب كليكسوس وآدميركوري. وكان رصاص تمودة يدخل في صناعة النواويس والموازين والعلب وأطر المرايا والأنابيب المختلفة الأشكال ؛ ولقد عثر على هذه المصنوعات في جل المراكز العمرانية شمال المغرب.

واستوردت تمودة، دائما عبر النهر، كميات كبيرة من الخزفيات، وخاصة منها الكمبانية أ وب

---

annuelles, qui alimentent pendant huit mois la plèbe de Rome, paient encore par surcroit d'autres tributs variés et versent sans balancer leurs revenus au service de l'Empire, (…) ».

[94]- PONSICH, M., *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région,* p. 291.

[95]- PLINE, *H. N.*, V, 3 : « (…) c'est là qu'on a placé le palais royal d'Antée, son combat avec Hercule et les jardins des Hespérides. (…) Dans l'île se dresse un autel d'Hercule et rien d'autre que les o'éastres ne rappelle l'histoire du fameux bosquet aux pommes d'or ».

[96]- TARRADELL, M., *Historia de Marruecos : Marruecos púnico*,Tetuan, 1960, pp. 113 ; 329.

[97]- GSELL, St., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord,* t. V, p. 249 ; MATEU Y LLOPIS, F., *Monedas de Mauritania.* Contribución al estudio de la numismática de la Hispania ulterior Tingitana, según el Monetario del Museo arqueológico de Tetuán. Publicaciones del Instituto "General Franco" para la investigación hispano-árabe, 27, 1949, p. 33 ;

أبو العباس أحمد الرهوني، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 1، ص. 212 :« وكان [العنب] هنا كثيرا جدا، حتى كان الناس يعصرون منه الخمر، ويعملون الزبيب. ثم قل في هاذه السنين جدا إلى درجة أنه لا يكفي البلد. بل يجلب إليها من القبائل الجبلية، كبني حزمر، وبني حسان وغيرهما».

[98]- PONSICH, M., «Le trafic du plomb dans le détroit de Gibraltar», 3, pp. 1276-1277.

[99] - *Ibid.*

التي بدأ المغرب يستوردها حوالي 200 ق. م[100]. واستوردت أيضا خزفيات أريزو[101]، والخزفيات الإسبانية المختومة[102]، والخزفيات الحمراء المرشومة[103]، والأمفورات البونيقية[104] والرومانية[105]، والقناديل الرومانية، الخزفية[106] منها والبرونزية[107]، وكذا مشابك الثوب ومكملات الزنانير التي ترجع إلى العصر الروماني المتأخر[108]...

لا يمكن تصور تاريخ تطوان منذ تأسيس الأندلسيين لها، أو تمودة قبلها، بدون وادي مرتيل، أو النهر ذي الأسماء الخمسة ! فلقد قام نهر تمودة، أو المجكسة، أو وادي راس، أو قوس، أو مرتيل/مرتين، بدور أساسي في حياة مدينة تمودة البونيقية الموريطانية، والرومانية، وذلك حتى القرن الخامس ؛ وكذا في حياة تطوان وتشكُّل وظيفتها البحرية، وذلك إلى غاية القرن العشرين. ويتميز هذا النهر عن غيره من الأنهار المغربية بأسمائه الخمسة، وكذا بالعدد الكبير لأسماء أجزائه ومخاوضه. وكان هذا النهر قابلا للملاحة منذ العصر القديم، ومكّن سكان تطوان بعد طردهم من الأندلس، من تنظيم عمليات الجهاد البحري والانطلاق منه لتحرير الثغور المحتلة، وتطوير علاقاتهم الاقتصادية، واستقبال الزائرين الأجانب... في

---

[100] -MOREL, J.-P., «Céramique à vernis noir du Maroc», *AntAfr*, 2, 1968, pp. 55-76; *Idem*, «La céramique campanienne: acquis et problèmes», in *Céramiques hellénistiques et romaines*, Paris 1980, pp. 85-122 ; *Idem*, «La céramique à vernis noir du Maroc: une révision», *Lixus, Colloque international de Larache*, 8-11 novembre 1989, Rome (Collection de l'EFR, 166), 1992, pp. 217-233.

[101]- PONSICH, M., «La céramique arétine dans le nord de la Maurétanie Tingitane», *BAM*, XV, 1983-1984, pp. 139-181 ; TARRADELL, M., «Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955», in *Tamuda*, 4, 1956, p.80; GOUDINEAU, Ch., «La céramique arétine», in *Céramiques hellénistiques et romaines*, Paris 1980, pp. 123-133.

[102]- BOUBE, J., *La terra sigillata hispanique en Maurétanie Tingitane*, 1, *Les marques de potiers*, Rabat (ETAM I), 1965, pp. 44-45, 53, 90 et 226-227; fig. 32; *idem*, «La terra sigillata hispanique en Maurétanie Tingitane. Supplément au catalogue des marques de potiers», *BAM*, VI, 1966, pp. 115-143; BOUBE, J., «La terra sigillata hispanique en Maurétanie Tingitane. Supplément II au catalogue des marques de potiers», *BAM*, VIII, 1968-1972, pp. 67-108.

[103]- JODIN, A., PONSICH, M., «La céramique estampée du Maroc romain», *BAM*, IV, 1960, pp. 287-318; JODIN, A., PONSICH, M., «Nouvelles observations sur la céramique estampillée du Maroc romain», *BAM*, VII, 1967, pp. 499-546.

[104]- PONSICH, M., *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, p.187; M. TARRADELL, *Marruecos púnico*, p. 113; CINTAS, P., *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Publications de l'Institut des hautes études Marocaines, 56, Paris, 1954, p. 73.

[105]- TARRADELL, M., «Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955», p. 80; *id., Marruecos púnico*, p. 113.

[106]- PONSICH, M., *Les lampes romaines en terre cuite de la Maurétanie tingitane*, Rabat, PSAM, 15, 1961; QUINTERO ATAURI, P., «Lucernas de barro que se guardan en el Museo Arqueológico de Tetuán», *Mauritania*. Año XVIII, n° 198, Tánger, mayo 1944, pp. 135-137; *id*., n° 200, julio 1944, pp. 197-204; *id*., n°201, agosto 1944, pp. 229-232; VEGAS, M., «Estudio cronológico de las Lucernas del Museo de Tetuán», I *Congreso arqueológico del Marruecos Español* (Tetuán, 22-26 junio de 1953), Tetuán, 1954, pp. 425- 429.

[107]- BOUBE-PICCOT, Chr., «Lampes de bronze», *BAM*, IV, 1960, pp. 459-461; pl. VII, a et b; BOUBE-PICCOT, Chr., *Les bronzes antiques du Maroc*. II. *Le mobilier*, Rabat (ETAM V), 1975., pp. 107-108; pl. 37.

[108]- BOUBE, J., «Fibules et garnitures de ceinture d'époque romaine tardive», *BAM*, IV, 1960, pp. 319-380; BOUBE-PICCOT, Chr., *Les bronzes antiques du Maroc*. III. *Les chars et l'attelage*. Rabat (*ETAM* VIII), 1980 ; pp. 357-360.

زمن كانت تعتبر فيه حاضرة تطوان منفذ المغرب الوحيد على البحر المتوسط، ووسيطا بين المغرب وأوربا.

SITUATION DES COMMUNES URBAINES DE TETOUAN ET DE MARTIL
(extrait carte I.G.N.)

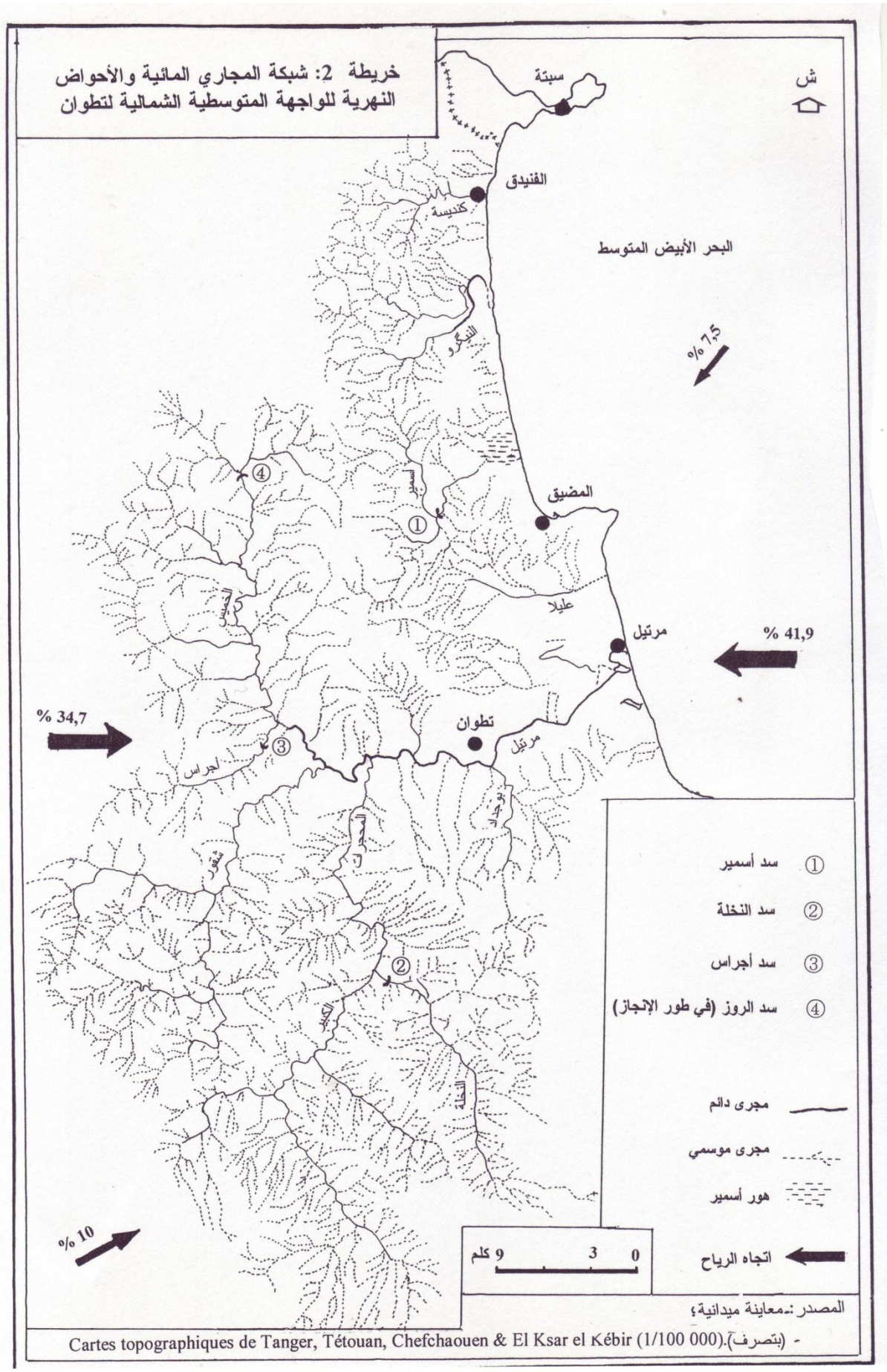
خريطة 2: شبكة المجاري المائية والأحواض النهرية للواجهة المتوسطية الشمالية لتطوان
ش
سبتة
الفنيدق
كنديسة
البحر الأبيض المتوسط
النكرو
% 6,5
المضيق
عليلا
مرتيل
% 41,9
تطوان
مرتيل
% 34,7
اجراس
النخلة
% 10
① سد أسمير
② سد النخلة
③ سد أجراس
④ سد الروز (في طور الإنجاز)
مجرى دائم
مجرى موسمي
هور أسمير
اتجاه الرياح
0 3 9 كلم
المصدر :-معاينة ميدانية؛
- (بتصرف).Cartes topographiques de Tanger, Tétouan, Chefchaouen & El Ksar el Kébir (1/100 000)

مصدر الخريطة 2 :

العبدلاوي (محمد)، **"الماء والإنسان بمدينة تطوان : دراسة جغرافية"**؛ أطروحة دكتوراه الدولة. إشراف: محمد الناصري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب، 2006، الصفحة: 54.

صورة لنهر مرتيل ومدينة تطوان

مصطفى غطيس